التحليل النقدي للخطاب رؤى بينية

اسم الباحث: خوجة زينب
طالب دكتوراه: جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل- الجزائر

ملخص:
خرج مفهوم الخطاب عن المفهوم المعجمي واللغوي واتسع إلى مديات أبعد لاسيما بعد استخدامه في ميدان الأدب والنقد لذلك ظهر مصطلح الخطاب الأدبي ليشمل تحديد نوع بذاته من الخطاب، وتعد الرواية أهم جنس أدبي حيث تقوم بتصوير الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي يحياها الإنسان، فالنص الروائي يقوم على أسس جمالية ووظيفية تواصلية، يسعى من خلالها على ربط الواقع بالخيال في قالب فني وذلك لأن الرواية تتسم بالكلية والشمول والتنوع ، وتعتبر الشخصية فيها من بين العناصر الروائية لأنها تمثل العنصر الحيوي في العمل الحكائي وذلك لأن هذه الأخيرة تلعب دورا أساسيا ومهما في بنائها، والروائي الجزائري **"ياسمينة خضرا"** من الروائيين الذين عالجوا المواضيع التاريخية والسياسية والاجتماعية، فروايته **"فضل الليل على النهار"** من الروايات التي تحوي شخصيات رئيسية عاشت أحداثا بكل تفاصيلها وأخرى ثانوية كانت عابرة في المسيرة الحياتية، ومن هنا كانت لنا إشكالية محورية هامة: كيف وظف الروائي الشخصيات في الرواية؟ وكيف جاءت صيغ السرد في الرواية وهل وظفت التقنيات السردية الحديثة؟ ماهي الشخصيات التي استعملها في صيرورة الأحداث وعلاقتها ببنية الشخصية ومكانتها؟

مفتتح:

عرفت الرواية الجزائرية في السنوات الأخيرة تحولات هامة سواء على مستوى الشكل أو المضمون، وذلك نتيجة التحولات التي شهدتها الكتابة الأدبية في الجزائر بسبب الظروف التي مرت بها البلاد، وبالرغم من كل التطورات التي مست الساحة الأدبية عامة والروائية خاصة إلا أن الحواجز والقيود السابقة لم يتم التخلص منها كليا، بل ظلت موجودة وبشكل كبير في التحليل والابتعاد عن حكي الواقع كما يراه الكاتب، ورغم ذلك ظل القارئ مهووسا بالإطلاع على حقيقة الأوضاع التي يعيشها مجتمعه والتي يحرص الكاتب والروائي في وطننا العربي على كشفها ووصفها بكل حيثياتها، مما أدى إلى ظهور الأعمال الفنية على اختلاف أجناسها(مسرحيات، قصائد، أشعار، روايات....إلخ)، وكانت ممنوعة من الطرح والإصدار ذلك أنها عبرت بصريح اللفظ والعبارة على واقع فاحت روائحه وتعفنت بل واسودت صورته وحملت في طياتها المعنى الحقيقي الذي يعيشه المجتمع والذي يبقى يتخبط في أوحال الجنس والفساد.

ومن أبرز الكتاب الجزائريين البارزين في هذا المجال الروائي **"ياسمينة خضراء"** في روايته الموسومة **"فضل الليل على النهار"** الذي استطاع بدوره أن يشق طريق عريض طويل في الساحة النقدية والإبداعية وتمكن من أن يكون محل جدل كبير لدى الدارسين ، مخالفا أقرانه مما يدل على إمكانيته الإبداعية التي تبدو واضحة من عمل لآخر، تعتمد تقنيات تستلحم مضامينها وأشكالها من السياق المحلي، فهذا الروائي يقوم بتفكيك منظومة التداعي في الرواية واللعب في الأزمنة والمشاهد ونقاطها واختلاف اللغة باختلاف العمل ، وفي هذه الرواية تعتبر الشخصية من أهم العناصر الروائية فيها لأنها تمثل" العنصر الحيوي في العمل الحكائي بحيث لانستطيع أن نجد قصة أو رواية معينة دون وجود وتدخل الشخصيات، وذلك لأن هذه الأخيرة تلعب دورا أساسيا ومهما في بناء الرواية، مما أدى إلى اهتمام المنشغلين والمهتمين بالأنواع الحكائية المختلفة به"[١].

فقد جعلوا البحث في الشخصية محور انشغالهم وعناياتهم بهذا العنصر" وقد انصب اهتمام هؤلاء خاصة على البعد المرجعي التاريخي للشخصيات، فصاروا يبحثون أكثر عن الشخصيات التاريخية محاولين إبراز التحولات التي حدثت على هذه الشخصيات في العمل الروائي"[٢]، وتحاول هذه الشخصيات أن تصور لنا الواقع من خلال حركتها مع غيرها ومن خلال نموها التدريجي، ويجب على الشخصية الروائية أن تبقى صامدة أمام حركة الزمن المستمرة.

فالشخصية تعد أهم ركيزة في البناء السردي للقصة القصيرة والرواية، وتعتبر ذلك" العالم المعقد وشديد التركيب والتنوع والتباين، وتتعد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات، والثقافات، والحضارات، والهواجس والطبائع البشرية، التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود"[٣]، ولكن مع ظهور المدارس النقدية المعاصرة كالبنيوية والبنيوية التكوينية، والسيميائية، ونظرية التلقي، وغيرها من النظريات أصبحت الشخصية محل تجارب لهذه القوانين الإجرائية والتعاريف وبالتالي أصبح ينظر للشخصية في النقد المعاصر على أنها علامة ضمن نظام من العلامات فبطاقة المعلومات التي تحملها من(اللقب، السن، الهيئة، الكنية...) لم تعد أساسية في كينونة الشخصية، بل أن حركيتها داخل النظام الروائي، أي الدور الذي تقوم به في النص الأدبي هو منبع الاهتمام"[٤].

---

[١]- سعيد يقطين: قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٨٧.

[٢]- المرجع نفسه: ص٨٧.

[٣]- عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، المجلس الثقافي والفنون والآداب،الكويت، ١٩٩٨، ص٨٣.

[٤]- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، هيئة النقد، ع١٣، جوان ٢٠٠٠، ص١٩٨.

إن النظرة الجديدة للنقد المعاصر أصبحت تهتم أكثر ببنية الشخصية داخل النظام الداخلي للخطاب السرديمن حيث الشكل، ومن حيث المحتوى والعلاقات بينهما، وبين الشخصيات الأخرى، من حيث التضاد، والتصادم.

بنية الشخصيات والأصوات في رواية فضل الليل على النهار:

تلعب الشخصية دورا هاما وأساسيا في بناء الرواية، إذ أنها مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، فالأفكار تحيا في الشخصية وتأخذ مسارها إلى المتلقي عبر أشخاص معينيين لهم تقاليدهم ومفاهيمهم وآرائهم في مجتمع وزمن معين، فالشخصيات" مجرد أحجار شطرنج يستخدمها الكاتب في لعبته الفكرية الفنية تستطيع أن تتحرك أو تتنفس وفقا لرغباته والذي يرسم لها قانونها الأخلاقي بحيث يملي عليها التصرف ضمن مفهومه الخاص للخطأ والصواب"[١].

فالشخصية في السرد الروائي" ليست الشخصية الروائية وجودا واقعيا وإنما هي مفهوم تخيلي تدل على التعبيرات المستخدمة في الرواية، وهكذا تتجسد الشخصية الروائية حسب بارت- كائنات من ورق- لتتخذ شكلا دالا" من خلال اللغة، وهي ليست أكثر من قضية لسانية حسب تودوروف"[٢].

إلى جانب ذلك نجد الشخصية تخلق المنجاة وتبلور الحدث بكل مايحتويه، لذلك يمكننا تقسيم الشخصية في هذه الرواية حسب الأدوار إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، حيث يتنحى الروائي جانبا ليتيح الشخصية لتعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، والتعليق عن أعمالها"[٣].

وهذا مانجده في رواية الروائي "**ياسمينة خضراء**" "**فضل الليل على النهار**" فهي تحوي شخصيات رئيسية عاشت الأحداث بكل تفاصيلها، وأخرى ثانوية كانت عابرة في هذه المسيرة الحياتية.

حيث كان لفظ "**persona**" وحدة المستخدم يعني آنذاك القناع ارتبط بالمسرح اليوناني،وهذا يقترب من الاستعمال الفرنسي"**personnalité**" الإنجليزي"**personality**" ومن هنا تعدد مفاهيم الشخصية باعتبارها علامة لغوية حسب بارت، وقضية لسانية(نحوية) حسب تودوروف، لكن تبقى صبغة إنسانية تحمل في طياتها ملامح الإبداع ورغم محاولة المناهج النقدية في تحليل الشخصية الروائية، وتقديم مفاهيم عدة لها، تبقى فجوات يصعب إدراكها، فدراستها "[٤]تعتمد على تقنيات تفجر طاقاتها الجمالية ودلالاتها المتباينة" .

١- حسام الخطيب: الرواية السورية في مرحلة النهوض(١٩٦٧-١٩٥٩)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص٦٨.

٢ - محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص١١.

٣ - نضال صالح: النزوع الأسطورية في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، د.ط، ٢٠٠١، ص١٧٣.

٤- سيَد محمد غنيم: سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، د.س، ص٤٥.

وقد ظهرت شخصيات نامية تنمو وتتطور مع مسار الأحداث، والشخصيات التي تمتاز بالسكونية والثبات على طول المسار السردي، كما ظهرت شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، وذلك إسهاما من الجهود النقدية التي ساهمت في بلورة تقسيم الشخصية حسب نوعها وتصنيفها وتقاطعاتها.

أما تصنيفات غريماس جعلت من الشخصيات عوامل تقوم بمجموعة من الأفعال فكانت مجرد شخصيات مشاركة، فهي الفاعل ضمن أدوار ست حسب هذه الترسيمة:[1]

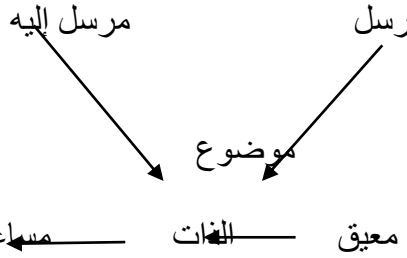

إن كل هذه التصنيفات للشخصية الروائية تحدد بنائها من خلال مسار سلسلة الأحداث فتبين حركتها وسكونها، وثباتها ونفيها وعلاقاتها ببعضها البعض بعلاقات متشابكة تثبت وجودها في العمل السردي. كما أن تعدد الرواة يؤدي غالبا إلى تعدد وجهات النظر حول قصة واحدة، فبإمكان راو واحد أن يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة.

الشخصية الحكائية:

لقد حاول كل من **"فلادمير بروب"** على الخصوص و**"غريماس"** من خلال أبحاثه تحديد هوية الشخصية في الحكي بشكل عام من خلال أفعالها، دون صرف النظر عن علاقتها بينها وبين مجموع الشخصيات الأخرى التي يحتوي عليها النص.

ثم إن الشخصية في الرواية أو الحكي عامة، لاينظر إليها من وجهة التحليل البنائي المعاصر إلا على أنها دليل(**signe**) له وجهان أحدهما دال(**sinifiant**) الآخر مدلول(**signifie**).

وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث أنها ليست جاهزة سلفا، ولكنها تحول إلى دليل فقط ساعة بنائها في النص، ولهذا السبب سعى بعض الباحثين إلى طريقة خاصة في تحديد هوية الشخصية الحكائية التي تعتمد على محور القارئ لأنه هو الذي يُكوِّن بالتدريج صورة عنها ويكون ذلك بواسطة مصادر إخبارية ثلاثة وهي:

- مايخبر به الراوي.
- ماتخبر به الشخصيات ذاتها.

[1]- سعيد بن كراد: سيمولوجية الشخصيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٣، ص٩١.

- مايستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات"[1].

فالشخصية مزيج بين الواقع والخيال، وهي خيال واقعي أو واقع خيالي بالإيهام تنشأ صفة الواقعية فيها وبمرجعيتها يتأسس طابعها الإيهامي، والشخصية حقيقتها نصية، حيث أن الراوي يخلق شخصيات من الواقع ونجد كذلك أن الكتاب تختلف مواقفهم حول مفهوم الشخصية، ويعد الراوي أحد أهم العناصر، بل الركيزة الأساسية في أي عمل سردي سواء كان شفويا أو مكتوبا، ولقد حظي باهتمام الكتاب، والباحثين فتعددت والاصطلاحات لتحديد ماهيته. وهو الوساطة بين العامل الممثل والقارئ والمؤلف الواقعي، فهو العون السردي الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية .

والحكي يكون أكثر بساطة عندما يتناوب الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع حيث يقوم كل واحد منهم بسرد قصته، أو سرد قصة مخالفة من حيث زاوية النظر لما يرويه الرواة الآخرون"[2].

الشخصيات الرئيسية :

من الشخصيات الرئيسية والتي تدور عليهم معظم أحداث الرواية المتميزة:

- ✓ **يونس (جوناس):** من الشخصيات التي عاشت الأحداث بكل تفاصيلها، حيث عاش ظروف قاسية وقاهرة في قريته فانتقل إلى المدينة ليجد ماهو أسوء منها في مدينة وهران، كان طفلا صغيرا وله عين بصيرة إلى أبعد الحدود، ترصد كل شيء، وكان ضعيفا يقتفي ظل أبيه ويحتمي بجناحيه يصارع الظروف ودوامة القدر للخروج إلى ماهو أفضل، وقد كان شاهدا على كل الأحداث بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة.
- ✓ **عيسى:** أب "يونس" و "زهرة" ورب عائلة صغيرة، فلاح مثابر يعيش في القرية ومجتهد في عمله ليعيل عائلته ويقدم لها متطلباتها، كان من النوع الذي لا يتقبل يد المساعدة لأنه يعتبرها إهانة له وإنقاص من قيمته، وبأنه رجل عاجز كان يكابد المشاق والعوائق وصابرا على كل شيء من أجل إسعاد عائلته، عرف بالشهامة والقوة والشجاعة والصبر والعصبية، قام برهن أرض أجداده من أجل أن يوفر القوت لأبنائه، فيصدم بحرق محصوله، ليجن بعد ذلك من شدة الغضب، فيأخذ عائلته ويتوجه نحو المدينة آملا أن يعيش هناك بسلام لكنه اصطدم حيث يجد ماهو أسوء من تلك القرية.
- ✓ **هواري:** طفل من "جنان حاتو" لايعرف له أهل ولا منزل يصطاد العصافير ليبيعها ويجني من نقودها مايحتاج، اتخذ يونس صديقا له دون أن يأخذ برأيه فتعلم منه الصنعة، رافقه وعمل مثله، ولكن الأب عيسى بعدما رأى النقود اعتبرها إهانة له من ابنه الذي يرى فيه الضعف والعجز، وقد كان هواري من أصدقاء يونس الذي شارك في الثورة.

[1] - ينظر: سعيد بن كراد: سيمولوجية الشخصية السردية، ص٥١-٥٢.

[2] - حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ص٤٩.

- ✓ **جرمان:** زوجة عمه ليس لها أطفال جعلت منه ابنها حافظت عليه ورعته ووفرت له كل مايريد رفقة عمه كانت له الأم الحنون"[1].
- ✓ **جان كريستوف:** من أصقاء يونس في مارسيليا، خجول رافقه مدة حياته الشبابية ثم التقى به بعد ٤٥ سنة ليودعه من جديد.
- ✓ **أندري:** يعتبر أيضا من أصدقائه فهم كانوا شلة واحدة هو **"وجان كريستوف"** و**"يونس"** و**"إيزابيل"**، كانوا يلتقون في مختلف الأماكن يتجولون مع بعض، ويتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث.
- ✓ **إيزابيل:** هي حفيدة **"روسيليو"** كانت تدرس معه في المدرسة التي أحبها لمدة، لكن بعد أن علمت بجنسيته تخلت عنه.
- ✓ **سيمون:** صديق يونس وزوج إيميلي الذي توفي.
- ✓ **العم ماحي:** هو دكتور له صيدلية بالمدينة ، مثقف وميسور الحال له أطفال، زوجته تعيش في أمريكا حيث منزلهم، هو الأخ الأكبر **لعيسى** وهو **عم يونس** حاول مساعدة أخيه والتخفيف من معاناته ولكن دون جدوى رغم ذلك بقي يحاول مساندته، حيث قام بكراء الحوش لهم في وهران في" **جنان جاتو".**
- ✓ **إيميلي:** الفتاة التي أحبها يونس التقى بها عندما سافر مع عمه إلى أمريكا كانت طفلة مريضة تتلقى الحقن كل يوم من زوجة عمه تعرف عليها وكانت صديقته أحبها لكنه تخلى عنها بسبب الحرب وبعد٤٥ سنة عاد للبحث عنها بعدما علم أنها توفيت ولكن لحسن الحظ هي لاتزال على قيد الحياة، فهي تعيش في مارسيليا في شارع ١٤٣، الإخوة جوليان، رفضت العودة إلية لأنه جبان بالنسبة إليها حين تخلى عنها وذهب، حيث تركها وحيدة حزينة تنزف دما لفراقه، تحدث معه بعدما لاقته وأخبرته بأنها لاتستطيع العيش معه، وعند عودته إلى أرض الوطن سمع من أحد أصدقائه أنها حقا ماتت."[2]

الشخصيات الثانوية:

هي الشخصيات العابرة التي مرت بحياة بطل هذه الرواية، ولم يكن لها دور كبير أو تأثير بالغ في حياته وإنما كانت مجرد لقاءات أو معاملات بين هذه الأطراف قد التقت بها مرة أو مرتين ولايعاود الاتصال بها مرة أخرى.

ومن بين هؤلاء الذين عايشهم لفترة وجيزة وقد تعرف عليهم:

- ✓ **الأخت زهرة:** طفلة صغيرة هي أخت يونس تصغره سنا، كانت لاتفارق حضن أمها، بالإضافة إلى ذلك هناك شخصيات أخرى نذكر منها:

[1]- ياسمينة خصرا، فضل الليل على النهار، تر: محمد ساري، وزارة الثقافة، الجزائر، ص٤٩٦.
[2]- المصدر السابق، ص٤٩٧.

- ✓ **القايد:** رجل أفخم الملابس، لحيته محلقة بعناية وصدر سترته مرصع بالميداليات إنه القايد، محاط بحرسيه الخاص، جاء إلى عيسى ليأخذ منه الأرض بعدما أحضر رجل فرنسي معه وأجبره على التوقيع ثم أخذ الأوراق وذهب وتركه يتخبط في نار غضبه".[١]
- ✓ **التاجر:** رجل من سكان القرية، كان قصير القامة، جاف البشرة، بعيني جرذ لاصقتين في عمق وجه مبرقش ببثور سوداء، قصده **"عيسى"** ليبيع عربته وبغله ليستخدم النقود في تنقله نحو المدينة، لكنه احتفظ له بها، وأعطاه بعض النقود لأن عيسى كان يساعده دائما"[٢].

ومن الشخصيات التي مرت بحياة عيسى وابنه" **يونس"** عند ذهابهما إلى وهران" **بليس"** .

- ✓ **بليس**: إنه سمسار، رجل قصير القامة، من أصحاب آكلي الجيف كان يدرك جيدا أنهم تحت رحمته لهذا حاول استغلالهم قدر المستطاع، تعرف إليهم عن طريق **"العم ماحي"** الذي أراد مساعدتهم في في إيجاد منزل يأويهم.[٣]
- ✓ **صاحب المطعم**: رجل من سكان" جنان جاتو" بوهران له مطعم وهو رجل ضخم البنية طويل القامة، لقد اعتنى بـ" يونس" الذي وجده أمام مطعمه ينتظر أباه الذي تركه وذهب مسرعا للبحث عن عمه آملا أن يعود في أقرب وقت، بقي صاحب المطعم إلى أن عاد **"عيسى"** حيث وبخه لتركه للصغير وحده وسط الأفاعي والذئاب البشرية.

ومن الشخصيات الثانوية نجد كذلك سكان الحوش بـ" جنان جاتو" وهم جمع من النساء اللواتي غدر بهم القدر وقست عليهم الحياة.

هناك **بدرة:** التي تموت في قص الحكايات الفاحشة، ذات الخمسة أطفال ومراهقين صعبي المراس.

وهناك **بتول:** امرأة نحيفة وخمرية مثل حبة القرنفل، لها زوج بعمر جدها، وهي تعمل مشعوذة وتدعي أنها لها قدرات خارقة، يقدمن لها النساء أيديهن لتحفظ بها بـ... ثم تقول لهن ماسيحدث معهم في المستقبل"[٤].

- ✓ **أمايزة:** سمينة شقراء، لها زوج سكير يضربها كل ليلة بحجة أنها لاتنجب الأطفال.[٥]
- ✓ **الحلاق:** رجل بسيط يجني قوت يومه من عمله هذا أحيانا يأخذ المقابل وأحيانا أخرى يترك بيدين فارغتين مثل مافعله الشيخ جابري يحلق كعادته ولكنه لايدفع

١- المصدر نفسه ص١٩.
٢- المصدر نفسه: ص٢٣-٢٤.
٣- المصدرالسابق : ص٣٤.
٤- المصدر نفسه: ص٣٩-٤٠.
٥- المصدر نفسه: ص٤٣-٤٤.

النقود، وهذا ماجعل الحلاق يغضب ويواسي نفسه بمقاطع من الكلمات الغنائية عن "الحب"[1].

هذا كان فيما يخص الشخصيات التي قابلها في كل من **"القرية"** و**"مدينة وهران"** وكل هذه الشخصيات كانت تعبر عن أوضاع مزية وعن حياة خيالية من السعادة والفرح عن حياة مليئة بالأوجاع والآلام، وهذا كان فعل الظروف القاسية والمعيشة الضنكة"[2].

ولكن بعد انتقاله من مدينة وهران" جنان جاتو" إلى مدينة أوروبية" مارسيليا" كان الأمر مختلف، لقد التقى بشخصيات مثقفة تتحدث اللغة الأجنبية(فرنسية) ولهم طريق عيش خاصة بهم وهناك كان بيت عمه حيث التقى بزوجة عمه تدعى" جرمان".

ومن سكان ذلك الحوش أو الكوخ إن صح التعبير هناك أيضا:

- ✓ **ماما**: غارقة إلى الرقبة وسط عش من الأطفال الهائجين، تقوم بشغل عشر خدمات مستعدة لتقديم أي تنازل لتمنع سقفها من السقوط على رأسها.
- ✓ **ألمورو:** هو الرعب في أبشع أشكاله، سجين سابق نجا من سبع عشر سنة من الأعمال الشاقة، كان طويل القامة، شبه عملاق، حينما يعلن حضوره في مكان ما تتوقف الأصوات فجأة، وينسحب الناس خلسة خوفا منه ومن بشاعة تصرفاته، شخصية ألمورو تجتمع فيه كل صفات البشاعة.
- ✓ **الحانوتي" ساق الحطب":** رجل له ساق من حطب فقدها في الحرب هو بطل في الحرب التي كانت في الريف المغربية خاضها ضد المتمرد البربري" عبد الكريم" كان الأطفال ملتفين حوله يستمعون إلى مايرويه عن بطولاته الأسطورية"[3].

بنية الصيغة السردية في رواية فضل الليل على النهار:

تتحدد في مستوى العلاقة بين القصة والسرد أو الخطاب من موقع كمية الأخبار المنقولة وفق رؤية معينة، ضمن أشكال مختلفة تتعلق بالسارد و الأهداف من حيث قربه وبعده منها، وحتى الموقع الذي يتخذه في التعامل مع الأحداث والشخصيات، الشكل الأساسي لتنظيم الخبر السردي هي المسافة، والتي ميز فيها أفلاطون بين راو يسرد الأحداث مباشرة بنفسه وآخر يقدمها عن طريق الشخصيات، وميز **"جينيت"** أيضا بين مظهرين للسرد هما سرد الأفعال وسرد الأقوال.

- المصدر نفسه: ص٧٧.[1]
- المصدر السابق: ص٩٣-٩٤.[2]
- ينظر ياسمينة خضرا: ص٦٠-٦١.[3]

سرد الأفعال(الأحداث):

تتظافر فيه عناصر السارد مع طريقة سرده وفق علاقة كمية بين المشهد الحدثي الفعلي والخطاب المعبر عنه بما تحدد سرعة النص السردي(سرد الأفعال يمثل مستوى تحدده مسافة الراوي، مما يعرضه من أحداث في النص).

سرد الأقوال:

العلاقة بين القصة والسرد أو الخطاب، فيبدو المظهر الأساسي لكل فعل سردي هو التعامل مع أقوال وخطابات الشخصيات، من قبل السارد، لحسب مسافته من هذه الشخصيات أو تلك، فنقله للأقوال محكوم بصيغة تقديمها للمتلقي، سواء عبر كلام الشخصية المباشر أو من خلال تخطيب أقوال الشخصيات ضمن كلام السارد، ويميز جينيت في هذا المجال ثلاث حالات هي:[1]

أ- الخطاب المسرود أو المروي: يقوله السارد، ينقل فيه كلام الشخصية ويحللها نجده مهيمنا في خطاب الراوي.

ب- الخطاب المحول بأسلوب غير مباشر: لايكتفي السارد بنقل خطاب الشخصيات وأقوالها يكثفها ويدمجها في خطابه الخاص.

ت- الخطاب المنقول: يفسح فيه السارد المجال لأقوال الشخصية بالبروز بكل خصائصه الأسلوبية والدلالية.[2]وهو أكثر محاكاة ينقله المتكلم لغير المتكلم الأصلي وقد يقوم بنقله متلق مباشر(مخاطب) أو غير مباشر.

أما **الخطاب بالمعروض:** يعتمد في صيغة تقديمه على الأسلوب المباشر، يعرض أقوال الشخصيات"[3].

سبق وأن قلنا أن صيغ الخطاب تتعلق بالطريقة التي يقدم بها لنا الرواي القصة ويحاول عرضها حيث تتولد لنا أساليب مباشرة صادرة عن أقوال الشخصيات وأخرى غير مباشرة صادرة عن السارد.

ومن أمثلة رواية فضل الليل على النهار" نجد:

١/الخطاب المسرود:

" لست جبانا. لم أخن أحدا، أتسمع؟ لاتنظر إلي هكذا، أمنعك من الاستهزاء بي لم أبع أحدا...أتسمع؟ لا أحد لا أحد...." انفتح باب المكتب، خرج عمي شاحبا من الغضب ويرغى فمه زبدا"[4].

قال فابريس:

" إنه ليس في حالة جيدة هذه الأيام".

---

[1] - ينظر: عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي، ط١، ٢٠٠٨، ص٧١.

[2] - المرجع نفسه: ص٧٢.

[3] - سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٧، ص١٩٨.

[4] - ياسمينة خضرا: فضل الليل على النهار، ص٢٥٥.

سألني جان كريستوف:
ماذا حدث له بالضبط، أنت تلازمه طول الوقت.
ماذا جرى له؟
هززت كتفي لا أعرف
كان سيمون في حالة نفسية سيئة.
أما الأسلوب أو الخطاب المنقول نجد:
نظرت إليَّ جيرمان منذهلة قالت لي:
هل قلت له شيئا؟
لا.
قبل أن ينسحب قال:
لاتنسى مايقوله القرآن: من قتل نفسا بغير حق كأنما قتل الناس جميعا."[1]

ومن أقوال الشخصيات المعروضة: في ثنايا هذه الرواية نجد" أربكه سخائي، هز رأسه قليلا، فكر، ثم مط شفتيه، في حسيرة من أره، وقال:- في هذه الحالة سأكتفي بأخذ ورقة واحدة

- خذهما معا، هدية عن طيب خاطر أؤكد لك

ومثال آخر تمثل في:

- قرفس أحدهم أمام الحصان، قال بالعربية.
- مات بغلك
- لا. لقد سقط فقط
- أقول لك إنه جامد لايتحرك.

الشخصيات الموجودة في الرواية:

كل عمل روائي يحتوي على شخصيات متطورة وثابتة، ولكل منها وظيفة في العمل فالشخصية المتطورة في نظر الدكتور "محمد نجم" هي التي تتكشف لنا تدريجيا وتتطور بتطور حوادثها، ويكون تطورها ظاهرا خفيا وقد ينتهي بالغلبة أو الإخفاق، والمحك الذي نميز به الشخصية النامية هو قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة، فإذا لم تفاجأنا بعمل جديد فمعنى ذلك أنها مسطحة تسعى لأن تكون نامية"[2].

ومن خلال دراستنا لبنية الشخصيات يتضح لنا أن رواية" **فضل الليل على النهار**" ضمت شخصيات نامية ومتطورة كشخصية" **يونس، الأب عيسى، العم ماحي،**

[1] - المصدر السابق: ص٣٥.
[2] - محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٩٦٦، ص ١٠٤.

هواري، إيميلي جون كريستوف.."حيث استمر وجودهم على طول مسار أحداث الرواية، في حين أنها اشتملت أيضا على شخصيات ثابتة تمتاز بالسكونية والثبات حيث نلاحظ أن الراوي من خلال سرده لأحداث الرواية تعرض لذكر هذا النوع من الشخصيات مرة واحدة فقط وذلك خلال سرد أحداث الرواية من البداية إلى النهاية ولهذا تعتبر شخصيات غير نامية، كشخصية الأخت **زهرة، الحانوتي، بدرة، الحلاق، حدة، ألمورو،...إلخ**، وهذا التلاعب من الراوي جعله يركز على صنف خاص من الشخصيات التي تحمل تأثير بليغ في المتلقي مما تكسب هذه الرواية جماليتها.والشخصية النامية تمثل اتساع الحياة داخل صفحات الرواية.أما بالنسبة للشخصيات الثابتة أو الجامدة، أو النمطية فهي التي تبنى حول فكرة واحدة، ولاتتغير طوال الرواية، فلاتتطور وتفتقد الترتيب ولاتدهش القارئ أبدا بما تقوله أو تفعله، ويمكن الإشارة إليها بنمط ثابت"[1].وقد عرفها الدكتور محمد هلال بأنها الشخصية البسيطة في صراعها،غير المعقدة، وتمثل صفة أو عاطفة واحدة، وتظل سائدة بها من بداية القصة حتى نهايتها مثل شخصيات **"عودة الروح" "لتوفيق الحكيم"، و"الشيخ درويش"** في **"زقاق المدق"" لنجيب محفوظ"**[2]، ووضحها محمد نجم بأن: لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب والقارئ مما يسهل عمل الكاتب بأنه يستطيع أن يقيم بناء هذه الشخصية التي تخدم فكرته طوال القصة، أما القارئ فإنه يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه ومعارفهم الذين يقابلهم كل يوم"[3]، وبقدر حاجة الروائي للشخصيات النامية المتطورة، يكون اهتمامه بالشخصية النمطية لسد الثغرات الفنية، والتحام مايجري في الرواية والعالم الواقعي.والشخصيات بأدوارها المتعددة والمتميزة فهي في حد ذاتها كانت عامل مؤثر في مجريات الأحداث وكانت معبرة بشكل ملفت على الواقع الاجتماعي وعلى اللحظات المزرية التي عاشها الشعب الوهراني. ومما لابد من الإشارة إليه أن تقنيات الخطاب السردي هي الأخرى سباقة لإحداث جمالية سردية من خلال تواصلها مع بعضها البعض وترابطها، أي أن كل عنصر كان مكمل للآخر وخادما لإظهار اللمسات الجمالية في هذه الرواية.

فكانت شخصيات هذا الخطاب الروائي أو السردي مصداقية واضحة من خلال توافقها مع بعضها، ومع سلسلة الأحداث الجمالية في إطار بنائي يكشف عن علاقة الشخصيات بواقعها بزمانها وبمكانها الكشف عن عاداتها وتطلعاتها.

---

[1]- فتحي ابراهيم نصار: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية، تونس، ١٩٨٦، ص٢١٢.

[2]- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، ١٩٨٦، ص٥٦٥.

[3]- محمد يوسف نجم: فن القصة، ص١٠٣.

Summary:

The concept of discourse deviated from the lexical and linguistic concept and expanded to more distant ranges, especially after its use in the field of literature and criticism. Therefore, the term literary discourse appeared to include defining a specific type of discourse, and the novel is the most important literary genre as it depicts the social, political and historical life that a person lives, The narrative text is based on aesthetic and functional foundations, through which it seeks to link reality with imagination in an artistic form, because the novel is characterized by the totality, comprehensiveness and diversity, and the personality in it is among the narrative elements because it represents the vital element in the narrative work, because the latter plays an essential and important role in Its construction, and the Algerian novelist "Yasmina Khadra", is one of the novelists who dealt with historical, political and social issues. His novel, "The Virtue of the Night over the Day", is one of the novels that contain major figures who lived in every detail and minor events that were passing through the life, Hence, we had an important pivotal problem: How did the novelist employ the characters in the novel? How did the narration formulas come in the novel, and did they employ modern narrative techniques? What characters did I use to make the events and their relationship to the character's structure and standing?